الاقتصـــاد قبل الســـياسة ياعـــرب

لعل أكبر آفة أصيبت بها أمتنا العربية تكمن في غرامنا الملتهب بالأعاجيب السياسية ومناوراتها كأداة وحيدة لتحقيق أحلام الزعامة وأوهامها ، ولكننا لا ندرك أن هذا الأسلوب التقليدي القديم قد انتهى بانتهاء العرب العالية الأولى ، ولم تعد السياسة منذ ذلك الحين مجرد خطب عصماء أو شعارات جوفاء ، بل أصبحت علما متعدد الفروع والروافد ولعل الاقتصاد هو أهم فرع من هذه الفروع لدرجة أن السياسة في معظم دول العالم المتحضر أصبحت الى حد كبير في خدمة الاقتصاد بعد أن كانت السياسة هي الملكة التي ينحني لها الجميع في بلاطها .. فلا شك أن الزعيم السياسي الذي يؤثر في مجريات الأمور في عالمنا المعاصر هو الزعيم الذي يقف بأقدامه ثابتة على أساس اقتصادي راسخ ، ثم تأتي في المرتبة التالية لذلك السياسة الحكيمة التي يتبعها

ولا يعني هذا أن الاقتصاد يا أصدقائي كل شيء في السياسة ، بل أن السياسة تعمل على ترشيد الاقتصاد وفتح آفاق الجديدة ، ولكن إذا كانت السياسة من الاقتصاد بمجرد التحقيق لطموحاتها وأحيانا شطحاتها فإن الأساس الاقتصادي ثلاثة وإن مرور الوقت ، وبالتالي تنهار الأساس السياسي بانهيار قاعدته ، وعدل الذي وقعت فيه مصر في الفترة التي تلت قيام ثورة ٢٣ يوليو ، وإذا أضفنا إليه حتى ... وذلك بالإضافة طبعا الى ... التي أنفقناها على حروبنا ... مع اسرائيل دفاعا عن أمتنا ...

أدركت دول العالم المتحضر أن ... يسبح دراسة مرحلة بالكيانات ... المصحة ، ومن ... إنشاء السوق الأوروبية المشتركة اجتمع لأول مرة في يونيو ١٩٥٥ خارجية الدول الست الاقتصاد ... السوق الأوروبية للفحم والصلب ... العمل على تطوير التعاون ، وإنشاء سوق اقتصادية مشتركة ... الدراسات والأبحاث والدراسات ... الدول الست على « معاهدة » ... السوق الاقتصادية الأوروبية ... في ٢٥ مارس ١٩٥٧ .. وفي ... من عام ١٩٥٧ اعتمدت ... الدول الست وثيق روما ، ... السوق الى حيز الوجود ... يوم من عام ١٩٥٨ ، وكانت ... من فرنسا وإيطاليا ... وألمانيا الاتحادية وهولندا ... بلجيكا ، ولم تقف الخلافات ... والحروب الدموية السابقة ... الدول عقبة في سبيل إقامة ... من الوحدة الاقتصادية التي ... على الجميع بالفائدة المادية ... وهي حروب منها القديم ... حوالي ... عاما ، ... الحديث الذي ... على الهيمنة ... عشرة أعوام عقد التعاون في ... السوق عام ١٩٥٥ .

... الوعي الاقتصادي في الأقطار ... الأخرى ... بريطانيا

د. نبيل راغب

والتقاليد والتراث ... الخ ، وهي الوحدة التي يطلب منا أن نتغنى بها فقط ، إلا أننا لم نحاول حتى الآن أية محاولة جدية تسعى الى التكامل الاقتصادي بين دول الأمة العربية .

وعلى الرغم من الثروة البترولية والمالية التي يمتلكها العرب إلا أنها طاقة معطلة وتحت رحمة أسواق الأوراق المالية في لندن ونيويورك وطوكيو وغيرها من عواصم الحضارة ، ومعظم الصناعات التي تقيمها الخبرة الأجنبية في العالم العربي هي صناعات استهلاكية بحيث يستمر العرب في اعتمادهم على الأجانب .

ومن الغريب أن يحدث ذلك رغم أن اللجنة الاقتصادية في جامعة الدول العربية اتخذت قرارا في عام ١٩٥٣ — أي منذ أكثر من عشرين عاما — جاء فيه :

« لما كانت الوحدة الاقتصادية العربية من أهم الأهداف التي تسعى اليها جامعة الدول العربية ، فإن اللجنة السياسية توصي بتأليف لجنة من الخبراء العرب تتولى اعداد مشروع كامل لهذه الوحدة والخطوات التي يجب أن تتبع من أجل تحقيقها » .

وبرغم اقرار المجلس الاقتصادي للمشروع في يونيو ١٩٥١ ، فقد مضت خمس سنوات أخرى « ١٩٦٢ » قبل أن يوقع ممثلو ست دول عليه هي مصر وسوريا والعراق والأردن والكويت واليمن ، ويتضمن الاتفاق حرية التنقل لعناصر الانتاج « رجال الأعمال — الأموال — حرية الاقامة والعمل » وبالانتاج الوطني والأجنبي ، كما ينص الاتفاق على اخضاع الدول الأعضاء لمنطقة جمركية واحدة ، أي توحيد فيها التعريفة والتشريع والاستيراد والتصدير والنقل والترانزيت ، كما يطبق عليها نفس السياسة الاقتصادية المتعلقة بالزراعة والصناعة والتجارة الداخلية ، والمرتبطة أيضا بالنقدية والمالية .

تحول حرية انتقال عناصر الانتاج الى واقع ملموس .

نخرج من هذا بالقول بأن السر في الصراعات المحمومة التي تجتاح العالم العربي يكمن في فشلنا في اقامة القاعدة الاقتصادية المشتركة التي تعتمد على المصالح المشتركة والمتبادلة . فنحن مازلنا نفكر ونتصرف في اطار التقسيم الاستعماري الذي فرض على المنطقة العربية وأحالها الى أشلاء متناثرة ، بحيث رسخ في وجداننا أن التكامل الاقتصادي سما بيننا من رابع المستحيلات . ولكي تملأ الفراغ الناتج عن غياب التكامل الاقتصادي خضنا الصراع السياسي فيما بيننا . وبالتالي صراع أدى الى نتائج ايجابية ملموسة . بل كان صراعا حول زعامات وهمية وبطولات خيالية ، وكان يجب علينا أن نأخذ درسا من صراعنا المزمن مع اسرائيل . فلقد أدرك اليهود منذ فجر التاريخ الحضاري أن من يتحكم في اقتصاد العالم يستطيع أن يمسك هذا العالم من عنقه . وقد نجحوا في تطبيق هذه السياسة ، وعلى الرغم من كونهم أقلية ضئيلة إلا أنهم استطاعوا أن يوجهوا السياسة العالمية لكي تتطابق مع أهدافهم الصهيونية في اقامة دولة اسرائيل والعمل على توسيعها كلما حانت الفرصة .

لكننا نظن في عالمنا العربي أن النجاح السياسي الصاخب كفيل بتغطية قصورنا الاقتصادي . ونكتفي باجترار الأوهام التي ترسخها في وجداننا العالم الخارجي ، وهي الأوهام التي تؤكد لنا أننا نملك أعظم ثروة بترولية في العالم ، وبالتالي نملك أضخم أرصدة عرفها تاريخ الاقتصاد العالمي في حين أننا نجهل أو نتجاهل أن الحضارة والقوة السياسية الفعالة ليست بترولا خاما يضخ لتشغيل آلات خارج أراضينا ، أو أرصدة ملكية متجمدة في بنوك أمريكا وأوروبا وتحت رحمة تقلبات السوق العالمية للأوراق المالية . إن القوة السياسية الفعالة تنهض على العمالة والانتاج بكل ما يحمله من ... [illegible]